ملخّص ما بين واقعين واقع الدنيا وواقع الدين (ح٣٧) / عبد الحليم الغزّي
المذهب الطوسي (ج١٨)
البوم تاريخي (ق٢)
الصورة الثانية : عباسية الطوسي (ج١)
الخميس : ٦/جمادى الاولى/١٤٤٤هـ - الموافق ١/١٢/٢٠٢٢م

الجزءُ الثامنَ عشر من عُنواننا الـمُتقدِّم في الحلقات الماضية: "الـمَذْهَبُ الطوسي".
فتحتُ معكُم في حلَقتنا السابقة ألبوماً تأريخياً يشتَملُ على مجموعةِ صُور، عرضتُ لَكُم الصورةَ الأولى والَّتي عنونتُها: "شافعيّةُ الطوسي"..

• **الصورةُ الثانية: عبّاسيّةُ الطوسي.**

حينَ أقول من أنَّ الطوسي كانَ عبّاسياً فأنا أتحدَّثُ عن واقعٍ جد يد جَدَّ عليه، فإنَّ الرّجُلَ حينما كانَ في خُراسان لا توجدُ أيَّةُ إشارة تُشيرُ إلى عبّاسيّته، حتَّى حينما جاء إلى بغداد لا نملكُ إشارةً تُشيرُ إلى عبّاسيّته، حتَّى وقعَ في أحضانِ الشريف المرتضى، الشريف المرتضى كانَ عبّاسياً بامتياز، لَقد نشأ وتربّى وترعرعَ في عائلة عبّاسيّة وعاشَ الأجواء العبّاسيّة مُنذُ بداية أمره.
الطوسي حينَما كانَ في خُراسان الطوسي ولد سنة (٣٨٥) للهجرة، وتركَ خُراسان سنة (٤٠٨) للهجرة، من (٣٨٥) إلى (٤٠٨) للهجرة، نحنُ لا نمتلكُ أيَّةَ إشارة تُخبرنا عن عبّاسيّته و إنَّما الإشاراتُ تُشيرُ إلى شافعيّته فقط، لَمَّا وصلَ إلى بغداد وتشفَّعَ وترفَّضَ بعدَ ذلك، صَحبَ المفيد من سنة (٤٠٨) إلى سنة (٤١٣)، حيثُ توفِّي المفيد في بدايات شهرِ رمضان من سنة (٤١٣) للهجرة، أيضاً هُنا لا نمتلكُ أيَّةَ إشارات تُشيرُ إلى عبّاسيّة الطوسي، وإنَّما صارَ الطُّوسي عبّاسياً بعدَ وفاة المفيد، وحينما بدأت مَرجعيّةُ الشريف المرتضى تتحرّكُ في الواقعِ الشّيعي، الشريف المرتضى جمعَ بينَ المرجعيّة الشيعيّة وبينَ نقابة الطالبيّين وسائرِ المناصبِ العبّاسيّة الأخرى، الشريفُ المرتضى كانَ مرجعاً للشيعة هذا شيء معروف، وكانَ نقيباً للطالبيّين من قبل العبّاسيّين هذا أمر معروف، وهُناكَ مناصبُ أخرى؛ كانَ يُشرِفُ على ديوان المظالم، ديوانُ المظالمِ ديوانٌ مُهمٌّ في الدولة العبّاسيّة الَّذي يُشرِفُ عليه بمثابةِ وزير العدلِ في أيّامنا، وكانَ أيضاً أمير الحاجّ، فإمارةُ الحاجّ بمثابة وزارة الحج في زماننا، عَينُهُ الخليفةُ العباسي.
وهُناكَ وظيفةٌ أخرى ذُكرت في كُتُب التأريخ اختلفوا بشأنها؛ من أنَّهُ كانَ مسؤولاً عن القضاء، لأنَّ وَالدهُ قد عُيِّنَ قاضي القُضاة في بغداد وحَدثَ اختلافٌ فيما بينَ القادة البويهيّين والخليفة العبّاسي بخصوص أن يكونَ قاضي القضاة..
تُلاحظونَ أنَّهُ غاطسٌ في الشأن العبّاسي وفوقَ ذلك كانت تَربطهُ علاقاتٌ وثيقةٌ جِدّاً بقصر الحُكم العبّاسي، وهذه القضيّةُ تمتدُّ إلى أخواله أيضاً وتمتدُّ إلى أبيه، فَهُو من أسرة ومن بيئة ومن واقعٍ عباسيٍّ صرف، ليسَ بالضرورة أنَّهم عبّاسيّونَ من الجهة الدِّينيَّة، وإنَّما هُم عبّاسيّونَ من الجهة الاجتماعيّة والسياسيّة ومن الجهة الاقتصاديّة أيضاً، لأنَّ أموالَهُم وأحوالَهم الاقتصاديّة كانتَ مُرتبطةً بالقصرِ العبّاسي، وقد أغدقَ العباسيونَ على الشريف المرتضى أضعافَ أضعافَ ما أغدقوا على أبيه وأخيه من قبله، لماذا؟ لأنَّهُ كانَ مَرجعاً للشيعة، فَهُم استطاعوا من خلال الشريف المرتضى أن يتخلَّصوا من فتَن الطالبيّين وأن يَتخلَّصوا من فتَن الشيعة أيضاً فضربوا عصفورين بحجر، من هُنا فإنَّهم دَلَّلوهُ دلالاً للشريف المرتضى، وأغدقوا عليه من الأموال الكثير الكثير..
الطوسي بعدَ وفاة المفيد وقعَ في أحضانِ المرتضى، فصاغَهُ المرتضى صياغةً عبّاسيّةً.

في زمن المفيد؛

المفيدُ لم يَكُن على علاقة بالعبّاسيّين، وإذا كانت هُناكَ من علاقة فإنَّها ستكونُ مَحكومةً بالـمُجاملة، ستكونُ محكومةً بالتقيّة من وجهة نظره - من وجهة نظر المفيد - الوضعُ السياسيّ في العراق تبدَّلَ كثيراً بعدَ مجيء البويهيّين من إيران، البويهيّون شيعةٌ بغضِّ النَّظرِ عن أنَّهُم هل كانوا مُتدينينَ مُلتزمينَ بأحكامِ دينهم أم أنَّ دينَهُم السُلطة دينَهُم الحُكم، هذا هو شأنُ الحُكّام وشأنُ السياسيّين في كُلِّ زمان..
الدولةُ العبّاسيّةُ وإنَّنا نتحدَّثُ بالدرجة الأولى عن العراق، الدولةُ العبّاسيّةُ من بعد المأمون بدأت تتفكَّك، نهايةُ عصرِ قُوّة العبّاسيّين كانَ معَ موت المأمون العبّاسي، وبدأ الضَّعْفُ والتفكُّكُ والهوانُ يسري في كُلِّ أطراف جسد الدولة العبّاسيّة، إلى أن وصلَ الحالُ أيَّامَ المستكفي باللّه العبّاسي، خلافتهُ كانت عندَ نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع الهجري، في أيَّامِ المستكفي باللّه العبّاسي اضطربت الظروفُ اضطراباً حاداً وشديداً في الدولة العبّاسية عُموماً في أطرافها وفي مركزها في العراق وحتّى في بغداد..
أعودُ إلى الفارق والمائزِ فيما بين علاقة المفيد مع العبّاسيين وعلاقة المرتضى مع العبّاسيّين:
قلتُ لكُم من أنَّهُ أيَّامَ المستكفي باللّه العبّاسي البلدُ تَمزَّق، الدولةُ عُموماً تَمزَّقت لكنَّني أتحدَّثُ عن العراق، تمزَّقَ البلد وانتشرَ اللصوصُ في كُلِّ مكان وقُطّاع الطُّرق ما يُعرفونَ "بالبلطجيّة" في زماننا كانوا في كُلِّ زُقاقٍ في بغداد، وبالمناسبة هذه الظاهرةُ بقيت مُستمرّةً في بغداد إلى أيَّام العثمانيّين، وهُم يفرضونَ الأتاوات على النّاس، فَلَتَ الأمرُ من يَد القصر العبّاسي اضطر الخليفةُ العبّاسي المستكفي باللّه أن يستنجدَ بالبويهيّين الَّذينَ استفحلَ أمرهم في إيران، قادةٌ عَسكريّونَ استطاعوا أن يُهيمنوا على إيران وأن يُؤسّسوا إمارتَهم ودَولَتهم لكنَّهم لم يُعلنوا الخروجَ عن سُلطة الدولة العبّاسيّة، باللسان يقولونَ نحنُ ضمنَ الدولة العبّاسيّة، لكن في الواقعِ هُم دولةٌ مُستقلّة، الخليفةُ العبّاسي في بغداد استنجدَ بِهم، فحينما استنجدَ بِهم دخلوا إلى العراق، دخلوا بِقوّتهم العسكريّة، فجاء عمادُ الدولة البويهي معَ قُوّة عَسكريّة دخلوا بغدادَ في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة (٣٣٤) للهجرة.
ملاحظةٌ للتنبيه فقط: هذه الأمورُ لا تجري جُزافاً، هذه الأمورُ ترتبطُ بحركة المشروع المهدوي، وهكذا الأحداثُ السياسيّةُ في كُلِّ مَقطعٍ زماني..
مرجعيّةُ المفيد قُلتُ لَكُم: بلغت ذُروتَها سنة (٣٩٠) للهجرة، البويهيون دخلوا بغداد سنة (٣٣٤) قطعاً لم يكونوا أقوياء من اليوم الأوّل وإنَّما ازدادت قُوّتُهم شيئاً فشيئاً، البويهيّونَ التأريخُ يُحدِّثنا عنهُم لم يُضيّقوا على أحد، لا ضَيّقوا على الأشاعرة، ولا ضَيّقوا على المعتزلة، ولا ضَيّقوا على الشَّوافع، ولا ضَيّقوا على الحنابلة، ولا على الصُّوفيينَ ولا على غيرهم، ولا منحوا الشيعة شيئاً صاروا أفضلَ من غيرهم، إنَّما أُعطيت لَهُم الحريّةُ في أن يُمارسوا طُقوسَهُم وشعائرهم، علاقةُ المفيد كانت بحسب الظاهرِ جيّدةً مع البويهيّين لكنَّهم كانوا يتعامَلونَ معهُ بِشدَّةً في بعض الأحيان حينما يحتاجونَ إلى ذلك بحسبِ مصالحهم السياسيّة، بينما معَ الشريف المرتضى كانَ ال شريفُ المرتضى مُدلَّلاً عندَ العبّاسيّين وعندَ البويهيّين، وإنَّما دَلَّلَ البُويهيّونَ الشريف المرتضى لأنَّ الشريفَ المرتضى كانَ مُدلَّلاً عندَ العباسيّين.
في الجزء الثامن من (الكامل في التأريخ لابن الأثير)، المتوفّى سنة (٦٣٠) للهجرة/ طبعةُ دارِ الكُتب العلميّة/ الطبعةُ الرابعة/ ٢٠٠٦ ميلادي/ بيروت/ لبنان/ الصفحة السادسة والعشرين في ذكرِ حوادثها من جُملة ما ذُكرَ في حوادث هذه السَّنة:

فَبعثَ بهاءُ الدولة - هؤلاء هُم رموزُ الحُكم البُويهي ما بينَ إيرانَ والعراق - **عميدَ الجيوش أبا عليَ ابنَ أستاذ هرمز** - هذه ألقاب جديدةٌ طرأت على الدولة العبّاسيّة، إنَّها ألقابُ البويهيّين: العميد والأستاذ إلى بقيّة ألقابهم - **إلى العراق** - لأنَّ بهاء الدولة كانَ في إيران - **ليُدَبِّر أمره فوصلَ إلى بغداد فَزُيِّنت لهُ وقَمَعَ المفسدين** - المفسدينَ من البلطجيّة واللصوص والَّذينَ كانوا يعتدونَ على الأموال العامَّة ويتعرّضونَ للنساء الجميلات وغير ذلك - **ومنعَ السُّنَّة والشيعة من إظهار مَذاهبِهم** - هذا في بداية الأمر لدفع الفِتْنة، لأنَّ الفِتَنَ كانت تقعُ بينَ أتباع المَذاهب، بعد أن استقرَّ الأمر أُعطيت الحُريَّةُ للشيعة، وأُعطيت الحريَّةُ لبقيّة المَذاهب وسائر الاتجاهات.

- **ونُفي بعدَ ذَلكَ ابنُ المُعَلِّم** - ابنُ المُعلِّم هو المفيد، الشيخ المفيد من ألقابه المعروفة ابنُ المُعلِّم - **فقيهُ الإماميَّة فاستقامَ البلد** - استقامَ البلد بكُلِّ هذه الأمور وليس بنفي المفيد فقط، فَها هُم البُويهيّونَ يَنفُونَ المفيد، المفيدُ لم يكُن مُدلَّلاً لا عندَ العبّاسيّين ولا عندَ البويهيين وإنَّما كانَ يحتفظُ بمستوى من العلاقة الضعيفة جِداً مع العبّاسيّين والقويَّة بحسبِ الظاهرِ مع البويهيين، ولكنَّ البويهيين إذا احتاجوا إلى أن يضغطوا عليه وأن يُخرجوهُ من بغداد أو أن يعتقلوهُ فإنَّهُم يفعلونَ ذلك، وهذا هو الَّذي فعلوه، هذا جرى في السَّنة الثالثة والتسعين بعدَ الثلاثمئة بعدَ أن حدَثَ ما حَدثَ من الاضطرابِ والمشاكل في هذا المقطع الزَّماني، وأنا أخبرتكُم من أنَّ المفيد بلغت مَرجعيّتهُ الذُّرْوة سنة (٣٩٠)، هذه الحادثة وقعت سنة (٣٩٣)، البويهيون دخلوا سنة (٣٣٤)، في البداية استتبَّ الأمر بعدَ أن قضوا على المشاكل الموجودة في وقت دُخولهم إلى بغداد ولكنَّ الفتَن كانت تعودُ فيما بينَ أتباع المَذاهب بَينَ الفَيْنَة والأخرى بينَ الشيعة والحنابلة، بينَ الحنابلة والشَّوافع، بينَ الشيعة والشَّوافع وهكذا، بينَ الصُّوفيّين وأعداءَ الصوفيّين كانت هذه الفتَنُ تَحدُثُ في بغداد بين الفَيْنَة والأخرى، لا أريدُ الخوضَ في كُلِّ هذه التفاصيل لكنَّ الواقعةَ تُخبِرنا عن مستوى علاقة المفيد بالعبّاسيّينَ والبويهيّين، هذا في أحداث سنة (٣٩٣).

في أحداثَ سنة (٣٩٨): بعدَ أن أُخْرِج المفيد من بغداد بعدَ فترةٍ زَمانيَّةٍ رجعَ إلى بغداد بعدَ أن استقرَّت الأمور، فَأذِن لهُ البويهيّونَ بالعودة إلى بغداد، صفحة (٤٩)، من الجزء نفسه، نحنُ الآن في سنة (٣٩٨):

وفي هذه السَّنة في ربيع الأوَّل وقعَ ثلجٌ كثيرٌ ببغداد وواسط والكوفة والبطائح إلى عبّادَان، وكانَ ببغداد نحو ذراع وبقي في الطريق نحو عشرين يوماً - تَقلُّب الأجواء - **وفيها وقعت الفتنةُ ببغداد في رجب وكانَ أوَّلُها أنَّ بعض الهاشميّينَ** - المرادُ من بعض الهاشميّينَ: "العبّاسيون"، هذا التعبير كانَ يُستعملُ في بغداد، وحينما يقولونَ الأشراف يُقصَدُ من ذلكَ بالدرجة الأولى العَلَويّون، وكذلكَ قد يُطلَقُ على العبّاسيّين أيضاً، لكنَّ الأكثرَ استعمالاً كانوا يُعبرون عن العبّاسيين بالهاشميّين، لماذا؟ لأنَّ العبّاسيّينَ هُم الَّذينَ كانوا يُصرّونَ على هذا الاستعمال كي يُذكّروا النَّاس من أنَّهُم من بني هاشم، لأنَّ الثقافة الشيعيّة حينما تتحدَّثُ عن الهاشميين تُركِّزُ الكلامَ عن العَلويّين..

- **أنَّ بعضَ الهاشميّينَ من باب البصرة** - هذا الباب الَّذي يقعُ في سورِ مدينة بغداد من جهة البصرة، النَّاسُ القادمونَ من البصرة يدخُلونَ من هذا الباب، والخارجونَ إلى البصرة أيضاً من بغداد يخرجونَ من هذا الباب - **أتى ابنَ المُعَلِّم فقيه الشيعة في مسجده بالكرخ** - الشيعة كانوا يَقطنونَ في الكرخ - **فآذاهُ ونالَ منه فثارَ به أصحابُ ابنِ المُعَلّم واستنفرَ بعضُهُم بعضاً** - المراد من أصحابِ ابنِ المُعَلِّم الشيعةَ - **وقصدوا أبا حامد الاسفرايني** - وهو من عُلماء المخالفين، حدثت الفتنةُ - **وابنَ الأكفاني حدثت الفتْنة** - إلى أن يقول ابنُ الأثير: **وعَظُمت الفتْنة، ثُمَّ إنَّ السلطانَ** - الحديثُ عن السلطان البويهي - **أخذَ جماعةً وسجَنَهم** - من الَّذين أثاروا الفتنةَ - **فسكنوا وعادَ أبو حامدٍ الاسفرايني إلى مَسجدِه وأَخْرِجَ ابنُ المُعَلِّم من بغداد** - أُخرِج مَرَّةً ثانية، أخرجوا المفيدَ من مدينة بغداد سنة (٣٩٨).

قطعاً نحنُ لا نمتلكُ كُلَّ المعلومات لكنَّ هذه الإشارات، وهذه الصورُ الجزئيّة الصغيرة تُخبِرنا عن مستوى علاقة المفيد بالعبّاسيّينَ وبالبويهيّين، بينما لم يَجري مثلُ هذا أبداً ولا ما هو أقربُ منه لا من قبل العبّاسيّين ولا من قبل البويهيّين مع الشريف المرتضى لأنَّهُ كانَ جُزءاً من النظام العباسي، تُلاحظونَ الفارقَ الكبير؟!

-**وأُخْرِجَ ابنُ المُعَلِّمِ من بغداد** - بعدما أُخرِج - **فَشَفَعَ فيه عَليُّ بنُ مَزْيَد فأُعيد** - عليُّ بنُ مَزْيَد هذا من مشايخ قبيلة بني أسد الَّذينَ أسَّسوا الإمارةَ المَزْيَديّة في الحلّة أيَّامَ العبّاسيّين، لهُ رابطةٌ وثيقةٌ مع العبّاسيّينَ ومع البويهيين، فَأُعيدَ إلى بغداد.

هذه الصورُ تُقَرِّبُ لَكُم فكرتي الَّتي مضمونَها من أنَّ علاقة المفيدِ معَ العبّاسيّينَ والبويهيّينَ تختلفُ اختلافاً كبيراً عن علاقة الشريف المرتضى بالاثنين؛ "بالعبّاسيّينَ والبويهيين"..

في الجزء الثامن من كامل ابن الأثير، الصفحة الثلاثين، من جُملة حوادث سنة (٣٩٤) للهجرة:

سنة (٣٩٣) أخرجوا المفيدَ من بغداد، لكنَّ الشريفَ المرتضى والَّذي كانَ من تلامذة المفيد بقي على حاله فَهُو من أُسرة تابعة للعبَّاسيّين، هُو من جُملة أُسَر الحُكومة، سنة (٣٩٤): **في هذه السَّنة قَلَّد بهاءُ الدولة** - الحاكمُ العسكريُّ البويهي - **النَّقيب** - "النَّقيب"؛ إنَّها إشارةٌ إلى نقابة الطالبيين - **النَّقيب أبا أحمد الموسوي وَالدَ الشريف الرضي نَقابَةَ العَلَويّين بالعراق وقضاء القضاة** - أن يكونَ قاضي القُضاة - **والحجَّ والمظالم وكَتَبَ عَهدَهُ بذلك** - "كتبَ عَهدَهُ"؛ أي كتبَ المرسوم الجمهوريّ المَلكيّ، كَتَبَ مرسوم الخلافة - **من شيراز** - لأنَّ بهاء الدولة كانَ في إيران وهو الحاكمُ الفعلي، أقرباؤه من أخوته وأبناء أسرته هُم الَّذينَ كانوا يُسيطرونَ على بغداد - **ولُقِّبَ الطاهرَ ذا المناقب** - هذا اللَّقب أُعطي من قبل الحكومة من قبل البويهيّين لمن؟ لوالد الشريف الرضي والشريف المرتضى، إنَّهُ أبو أحمد الموسوي - **فَامتَنعَ الخليفةُ** - الخليفةُ العبّاسي - **من تقليده قَضاءَ القُضاة وأمضى ما سواه** - "أمضى ما سواه"؛ أن يكونَ نَقيباً للعلويّين نقيباً للطالبيين، وأن يكونَ صاحبَ ديوان المظالم، وأن يكونَ صاحبَ ديوانَ الحجّ أي أنَّهُ أميرُ الحاجّ، لكنَّهُ لم يُعطه مَنْصَبَ قاضي القُضاة، فهذا أبو الشريفين الرّضي والمرتضى إنَّها أُسرةٌ تُشَكِّلُ جُزءاً منَ الحُكمِ في بغداد، هؤلاء عبّاسيّون إلى النُخاع.

في صفحة (٣٦) في حوادث سنة (٣٩٦):

في هذه السَّنة قُلِّدَ الشريفُ الرَّضي نقابة الطالبيّينَ بالعراق ولُقِّب بالرّضي ذي الحَسَبين ولُقِّبَ أخوه المرتضى ذا المجدين، فعلَ ذلكَ بهاءُ الدولة - "بهاءُ الدولة"؛ هو الحاكم الفعلي، الخليفةُ في القصر العبّاسي كانَ يُوقِّعُ على الكُتُب الصادرة من بهاء الدولة، وبهاء الدولة كانَ في إيران، فبهاءُ الدولة قَلَّد الشريفَ الرّضي نقابةَ الطالبيّين، وَأعطاهُ لقباً وأعطى الشريفَ المرتضى لقباً، هذه ألقابٌ تترتّبُ عليها آثارٌ في البروتوكولات في ذلكَ الزّمان..

صفحة (٧٨)، في حوادث سنة (٤٠٣):

وفيها قُلِّد الرّضيّ الموسوي - إنَّهُ الشريفُ الرّضي - **صاحبُ الديوان المشهور** - يُشيرُ إلى ديوانه الشعري - **نقابة العَلَويّينَ ببغداد وخُلع عليه سوادٌ** - من قبل الخليفة العبّاسي، "خَلَعَ عليه سوادٌ"؛ يعني قُدِّمَ لَهُ طقمُ اللِّباس العبّاسي الَّذي كان يُصنَعُ من الديباج الأسود، والديباجُ هو صنفٌ من أصناف الحرير الغالي الثمن، فَألبَسَ العمامةُ السوداء الَّتي يلبسُها مراجعُ النَّجف وكربلاء، من هُنا جاءت العمامةُ السوداء، وإلَّا فإنَّ العمامةَ الرسميّةَ والشرعيّةَ لـمُحَمَّد وآل مُحَمَّد هي العمامةُ البيضاء، وإمامُ زماننا حينما يخرجُ في ظُهورِه الشريف بحسبِ الروايات يكونُ مُرتدياً لعمامةٍ بيضاء بذَؤابتين، العمامةُ السوداء الَّتي تُلَفُّ كالتيجان من دُونِ ذُؤابةٍ هي عمامةُ العبّاسيّين، ولذا وصفتها الرواياتُ والأحاديث؛ "من أنَّها عمامةُ إبليس"..

- **وهُو أوَّلُ طالبيَ خُلِعَ عليه السَّواد** - لأنَّ الطالبيّين كانوا مُبيّضين، أبوهُ حينما قُلِّد نقابة الطالبيّين لم يجرؤ العبّاسيّونَ أن يخلعوا عليهِ السَّواد، ولكن بعدَ أن انغمست هذه العائلةُ في العلاقة مع الحُكم وانغمسوا في السياسة صارَ طبيعياً جداً أن يخلعوا عليهم السَّواد.

في الصفحة الحادية والتسعين من المصدر نفسه، في حوادث سنة (٤٠٦) للهجرة:

فيها توفِّي الشريفُ الرّضي - لم يَعش طويلاً الشريفُ الرضي، سنة (٤٠٦) توفِّي الشريف الرّضي، الكلامُ يَستمرّ عن الشريف الرّضي، إلى الصفحة الثالثة والتسعين: **وفيها** - في السَّنة نفسها بعدَ وفاة الشريف الرضي - **وفيها في صفر قُلِّدَ الشريف المرتضى أبو القاسم أخو الرَّضي نقابة العَلَويّين والحج والمظالم بعدَ موت أخيه الرَّضي** - فها هو الشريفُ المرتضى يُصبحُ نقيباً للطالبيين وزيراً للحج، وزيراً للعدل سنة (٤٠٦)، لا زالَ المفيد مرجعاً، فإمامُ زماننا في الرسالةِ وهو يتحدَّثُ عن كبار الشيعة الَّذينَ شَذّوا عن طريق السَّلف الصَّالح المصداقُ الأوَّلُ هو الشريفُ المرتضى، الرِّسالةُ وصلت سنة (٤١٠) للهجرة، الخطابُ إلى مراجع وعُلماء وزعماء الشيعة عبرَ المفيد: (**وَمعْرِفَتُنَا بِالزَّلَلِ الَّذِي أَصَابَكُم مُذْ جَنَحَ كَثِيرٌ مِنْكُم** - جنحوا باتجاه العبّاسيين - **إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعاً وَنَبَذوا العَهْدَ الْمَأخُوذَ مِنْهُم وَرَاءَ ظُهُورِهِم كأنَّهم لا يَعْلَمون**)، الشريفُ المرتضى كانَ عالماً لكنَّهُ يتغاضى عن ذلك كأنَّهُ لا يعلم..

في صفحة (٢٦٨)، حوادث سنة (٤٣٦):

وفيها - سنة (٤٣٦) - **توفِّي الشريف الرّضي** - ومن هُنا بدأت مرجعيّةُ الطوسي - **أبو القاسم عليّ أخو الرّضي في آخرِ ربيع الأوّل** - مَن الَّذي صارَ نَقيباً للعَلَويّين والطالبيّين من بعده - **وَوَلِيَ نقابة العَلَويين بعدهُ** - من؟ - **أبو أحمد عدنانُ ابن أخيه الرّضي** - ما هي وراثة، وراثةٌ في النِّقابة ووراثةٌ في المرجعيّة، صارت الزَّعامةُ الدِّينيّةُ للطوسي وبقيت في وَرَثته، الزعامةُ السياسيّةُ عندَ عائلة الشريف المرتضى، وعدنانُ هذا أيضاً لُقِّبَ بالشريف المرتضى مثلما لُقِّب ابنُ الطوسي الحسن بالمفيد، ألا تُلاحظونَ أنَّ الأمورَ تجري ضمن مُخطَّطٍ واحد؟!

إذا ذهبنا إلى حوادث سنة (٤٤٩):

سنجد أنَّ من جُملة تلكَ الحوادث وفاةُ عدنان ابن الشريف الرّضي، صفحة (٣٤٠)، في حوادث سنة (٤٤٩ للهجرة): **وفيها مات أبو أحمد عدنانُ ابن الشريف الرّضي نقيبُ العَلَويّين** - فبقيَ نَقيباً للعَلَويّينَ من سنة (٤٣٦) إلى سنة (٤٤٩) كانَ مُلازماً للطوسي أيَّامَ مَرجعيّته في شقِّها الأوَّل في بغداد، مرجعيّة الطوسي أيضاً بدأت سنة (٤٣٦) للهجرة، وانتهت في بغداد سنة (٤٤٨) انتقلَ إلى النَّجف، فعدنان الَّذي لُقِّب بالشريف المرتضى بقيَ بعد انتقال الطوسي إلى النَّجف بقي سنةً وتوفِّي، وبقيت النِّقابةُ في أسرته في عائلتهِم وأقربائهم، موضوعٌ وراثي، الأمرُ هُوَ هُوَ في زماننا الآن، كُنَّا مَضحكةً ولا زِلنا مَضحكةً وسنبقى مَضحكةً..

في حوادث سنة (٤٤٧):

هذه السَّنةُ كانت سنةً شاقَّةً بالنسبة للشيعة، لماذا؟ لأنَّ البويهيّين طُويت صَفحتُهم في هذه السَّنة وبدأت صفحةٌ جديدةٌ هي صفحةُ السلاجقة، السلاجقةُ الأتراك الَّذينَ كانوا من أشدِّ النَّاس نَصْباً وعداءً للعترة الطاهرة وشيعتهم، السياسةُ تَلعبُ لُعبتها، أتعلمونَ هُناكَ مَن يقول أنَّ طغرل بك الَّذي كانَ زعيماً للسلاجقة يقولونَ مَن أنَّهُ كانَ مُتأثِّراً بالفكر الإعتزالي مَعَ أنَّهُ يُظهِر أنَّه أشعري، لأنَّ أتباعَ سقيفة بني ساعدة كانوا يُظهِرونَ أنَّهم أشعريّون، تتبعوا مواقفَهُ فوجدوا لهُ مَواقفاً لَيسَ لها من تفسيرٍ إلَّا أن يكون مُتأثِّراً بالفكر الإعتزالي، هذهِ المعلومةُ لستُ مُتأكِّداً منها، إنَّما يقولها بعضُ الباحثين، لا أريدُ أن أقِفَ عندَها طويلاً لكنَّني جِئتُ بها مثالاً كيفَ أنَّ السياسةَ تلعبُ لُعبتها.

المعروفُ في التأريخ أنَّ السلاجقة هُم من المتشدّدينَ من نواصبِ سقيفة بني ساعدة، وطغرل بك هذا كَبيرُهم هو كَذَلك، لَمَّا دخلَ إلى بغداد وكانت الفتنةُ شديدةً فيما بينَ السُّنَّة والشيعة وفيما بينَ السُّنَّة أنفُسهِم، البويهيّونَ خَمدَت نارُهم وانطفأ ضَوؤهُم وطُويت صفحتُهم، أتعلمونَ لماذا؟ بسبب الخلافات الَّتي نشأت فيما بينَهُم، عدنان ابنُ الشريف الرضي والَّذي لُقِّب بالشريف المرتضى كانَ نَقيب الطالبيين، في حوادث سنة (٧٤٧) حينَ دخلَ طغرل بك مع السلاجقة إلى بغداد وبدأت دولَتُهم ومرحلَتُهم هَجمَ السّنيونَ البَغداديّونَ عليهم بسببِ خلافات فيما بينهم، أتدرونَ من الَّذي تصدَّى لحمايتهم؟ الَّذي تصدَّى لحمايةَ السلاجقة النَّواصب الَّذينَ فتكوا بالشيعة فيما بعد هُم شيعةُ الكرخ وعلى رأسهم الشَريف المرتضى عدنان أبو أحمد ابنُ الشريف الرضي، ومن هُنا توثَّقت العلاقةُ بينَ طغرل بك الناصبي المعروف وبينَ نقيب الطالبيّين وحدث تَعاونٌ فيما بينهم، حتَّى حينما زَوَّج طغرل بك الخليفة العبّاسي من خاتون بنت أخيه لأجلِ أن تَتوثَّق العلاقةُ فيما بينَ السلاجقة والعبّاسيّين الطوسي كانَ يُقَلِّدهُم حينما ذهبَ إلى النَّجف وزَوَّج بنتهُ من خازن المشهد العَلَوي، هذا الزواجُ كانَ في دائرة احتفاليّة ضَيقة، من جُملة الحُضّار الشريف المرتضى عدنان أبو أحمد ابنُ الشريف الرّضي، بحكم توثُّق العلاقة فيما بَينهُ وبينَ السلاجقة النَّواصب، من هُنا لَمَّا ذهبَ جيشُ السلاجقة إلى الكوفة لم يَتعرّض للطوسي، رابطوا بينَ هذهِ الحقائق، أنا لا أستطيعُ أن أقرأ كُلَّ شيءٍ لَكُم، هذهِ المطالبُ توجدُ فيها إضافاتٌ في كُتُبٍ أخرى..

صفحة (٣٢٣) من الكتاب الَّذي أقرأ منهُ عليكُم: **جاءَ بعضُ العسكرِ** - من عسكر السلاجقة - **إلى بابِ الأزْج وأخذَ واحداً من أهله** - هذا بابٌ من أبوابِ بغداد، المنطقةُ الَّتي يَسكُن فيها النَّاس يقولونَ عنها بابُ الأزْج، وهؤلاء سُنّيون من أتباعِ سقيفة بني ساعدة - **ليطلُبَ منهُ تبْناً** - إنَّه يَطلبُ منه تبناً كي يكونَ علفاً لخيول الجيش - **وهو لا يفهمُ ما يُريدون** - لأنَّ السلاجقةَ يتكلَّمونَ اللغةَ التركية وهم لَا يعرفونَ العربية هذا في أوَّلِ دُخُولِهم إلى بغداد - **فاستغاثَ عليهم وصاحَ العامَّة بِهِم ورَجَموهم وهاجوا عليهم وسَمِع النَّاسُ الصِّياح فظنّوا أنَّ المَلِكَ الرَّحيم وعسكرهُ قد عَزموا على قتال طغرل بك فارتجَّ البلدُ من أقطاره وأقبلوا من كُلِّ حَدْبٍ ينسلون يَقتُلونَ منَ الغَزّ** - يعني من الأتراك وهُم السلاجقة - **مَن وُجد في محالِّ بغداد إلَّا أهلُ الكَرخ** - أهلُ الكَرخ حبابَين مُؤدّبين ذوله مرجعهم الطوسي وزَعيمهم عدنان ابن الشريف الرضي - **فإنَّهم لم يتعرّضوا إلى الغَزّ بل جَمَعوهم وحَفَظُوهم** - جمعوهم في بُيوتهم وحفظوهم، من عشائر الشيعة في النَّاصريّة أيَّام الانتفاضة الشعبانيّة كبار البعثيّين حتَّى من التكارتة من كبار التكارتة كانوا يَحتمونَ في بُيوت شيوخ عشائر النَّاصريّة وهذه حكايةٌ مُفصَّلة، الحكايةُ هي الحكاية التأريخُ هُوَ التأريخ - **وبلغَ السُّلطانَ طغرل بك ما فَعلهُ أهلُ الكَرْخ من حماية أصحابه فأمرَ بإحسانِ مُعامَلَتهم فأرسلَ عميدَ المُلْك الوزير إلى عدنان ابن الرَّضي نقيب العَلَويّين يأمُرُه بالحضور، فحضرَ فَشكرَهُ عن السُّلطان وتركَ عِندَهُ خَيلاً بأمرِ السلطان تَحرسهُ وتحرس المحلّة** - تحرس المحلَّة الَّتي كان يَقطُنُ فيها عدنان ابنُ الشريف الرّضي..

وفي الوقتِ نَفسه ماذا فعلَ السلاجقة؟ في السنة نفسها في حوادث سنة (٤٤٧): **أمروا أهل الكَرخ** - الشيعة - **أن يُؤذِّنوا في مساجدهم سَحَراً؛ "الصَّلاةُ خيرٌ من النَّوم"** - منعوهم من الشهادة الثالثة، ومنعوهم من (حيّ على خَيرِ العَمَل)، وأمروهم أن يُضيفوا إلى أذانهم بدلاً من حيّ على خَيرِ العَمَل الصّلاةُ خيرٌ من النوم، هذه الحوادثُ رموزٌ إشاراتٌ، في الوقتِ نفسه وفَّر السلاجقةُ لنقيب الطالبيّين وفَّروا لهُ الحمايةَ في المكان الَّذي كانَ يقطنُ فيه بعدَ أن شكروهُ لما قامَ به من نُصرةِ لجيش السلاجقة والَّذي جاء لإزاحة البويهيّين الشيعة الَّذينَ وَفَّروا للشيعة الحُريَّة في إقامة طُقوسهم، ماذا تقولون؟ أليست الأحداثُ مُتشابهة؟!

- **في هذه السَّنة وقعت الفتنةُ بين الفقهاء الشَّافعيّة والحنابلة ببغداد** - وهَجمَ الحنابلةُ على الشَّوافع، لماذا؟ - **إنَّهم يُنكرون عليهم الجَهْرَ بِبِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيم** - لأنَّ الشَّوافع يُجْهِرونَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ويعدّون البسملة جُزءاً من الفاتحة في صلواتهم - **ومنعوا من الترجيع في الأذان والقُنُوتِ في الفجر**

ووصلوا إلى ديوان الخليفة ولم ينفصل حالٌ وأتى الحنابلة إلى مسجدِ بابِ الشعير فنهوا إمامهُ عن الجَهرِ بالبسملة فأخرجَ مُصحفاً وقال أزيلوها من المصحف حتَّى لا أتلوها - الخلافاتُ قائمةٌ بينَ هذه المجموعة وتلك.

في حوادث سنة (٤٤٨)، لا زالت الحوادثَ مُتَّصلةً:

وفيها أَمَرَ الخليفةُ بأنْ يؤذَّنَ بالكَرْخِ والمشهدَ - المشهد هُو المشهد الكاظمي وهو في الكَرخ - **وغيرها "الصَّلاةُ خَيرٌ من النَّوم"، وأن يتركوا "حَيّ على خَيرِ العَمل"، ففعلوا ما أمرهُم به خوفَ السُّلْطنة وقُوَّتها** - فأخذت المساجدُ الشيعيةُ وحتَّى في مشهد الكاظمين يُؤذَّنُ بالصَّلاة خَيرٌ من النَّوم في أذان الفجر، ورُفعت الشهادةُ ا لثالثة، ورُفعت كذلك عبارةُ (حيَّ على خَيرِ العَمَل)، هذا كُلُّهُ في أجواء السلاجقة، ولذا فإنَّ الطوسيَّ لَمَّا ذَهبَ إلَى النَّجَف فعلَ الَّذي فعلتهُ الشيعةُ في بغداد، فكان يُؤذَّنُ في النَّجف في المشهد العَلَوي بالشهادة الثالثة، الطوسي هو الَّذي منعها..

في السَّنة نفسها في سنة (٤٤٨)، من صفحة (٣٢٧):

هذا الحَفلُ حفلُ زواجٍ؛ **في هذه السَّنة في المحرَّم جلسَ أميرُ المؤمنين القائمُ بأمر الله جُلوساً عامَّاً** - جُلوساً عامَّاً لقادته وإلَّا ليسَ جُلوساً عامَّاً للنَّاس الَّذينَ هُم يسيرونَ في الشارع، فحينما يقولونَ جُلوساً عامَّاً هُو في الحقيقة جلوسٌ خاص، محفلٌ خاص، هُو عامٌ بالقياس إلى بقيَّة الأيَّام - **وحضرَ عَميدُ المُلْك الكَنْدري وزيرُ طغرل بك وجماعةٌ من الأمراء** - إلى أن يقول: **ثُمَّ خَطَبَ رَئيسُ الرؤساء** - هذه عناوينُ لمناصب ومسؤوليات تَجدَّدت منها في زمان البويهيّين ومنها في زمان السلاجقة، فكُلُّ مجموعة تأتي تأتي بمصطلحاتها ورُتبها وعناوينها - **وعَقَدَ العَقْدَ على أرسلان خاتون واسمُها خديجة ابنة داوود أخ السلطان طغرل بك، وقَبِلَ الخليفةُ بِنفْسه النِّكاح** - يعني لم يوكِّل عنه وإنَّما هُو الَّذي قال: قَبِلت النِّكاح - **وحضرَ العَقْدَ نَقيب النُّقباء أبو علي بنُ أبي تَمّام** - هذا من العباسيين، يكونُ رئيساً على نَقيب العباسيين وعلى نقيب الطالبيين - **وعدنانُ بن الشريف الرّضي نقيبُ العَلَويّين وأقضى القُضاة الماوردي** - إلى آخر الكلام، فهذه حفلةُ زواجٍ حَفلةُ عُرسٍ للخاصَّة من القوم للأمراء والزُعماء من جُملتهم نقيبُ الطالبيّين عدنان ابنُ الشريف الرَّضي الَّذي كانَ يُلقَّب بالشريف المرتضى مثلَما كانَ يُلقَّب ابنُ الطوسي بالشيخ المفيد، تُلاحظونَ أنَّ المخطَّطَ يتحركُ بنفس الطريقة وبنفس الاتجاه.

الطوسي أين؟ لا ذكرَ لهُ!! عادةً في كُتب التأريخ رجالُ الدِّين لا يُذكَرونَ إلَّا في الحاشية، فَكُتب التأريخ تذكُرُ رجال السياسة، الطوسي لا ذكرَ لهُ هُنا لأنَّ الَّذي يتحركُ نيابةً عنه هو عدنان بنُ الشريف الرَّضي.

الطوسي جعلهُ الخليفةُ القائمُ العبَّاسي القائمُ بأمر الله العبَّاسي جعلهُ جالساً على كُرسيّ الكلام، هذه درجةٌ لا تُمنحُ إلَّا لعُلماء السُنَّة، لكنَّهم يُهَيئونَ الطوسيَ لزعامة مَذْهَبٍ جديد سيكونُ أقربَ إلى السُنَّة منهُ إلى الشيعة إذا كانوا شيعةً للعترة الطاهرة، أمَّا إذا كانوا شيعةً للطوسيَ فلا علاقة لهم بالتشيّع للعترة الطاهرة، فالقائمُ بأمرِ الله العبّاسي الَّذي قَمعَ الشيعةَ ومَنَعَهم طُقوسهم هو الَّذي أجلَسَ الطوسيّ على كُرسيِ الكلام، وهذا هو الكُرسيّ الَّذي قيلَ عنهُ من أنَّ السُنَّة حينما هجموا على بيته أحرقوه، أحرقوا هذا الكُرسي الَّذي كانَ يُمثِّلُ رَمزاً أن يجلسَ عليه في دَرسه في محلِّ دَرسه بمثابة كُرسي لرئاسة الجامعة مثلاً على سبيل التشبيه والتمثيل، قضيَّةً رَمزيَّةً، لكنَّهُ لا يُمنَحُ لعُلماء الشيعة وإنَّما يُمنَحُ لعُلماء السُنَّة، فمَنحوهُ للطوسي.

الطوسيّ ذكرَ بعضُ الباحثين، ولا أملكُ دليلاً على هذا إلى هذه اللحظة، لكنِ من مُجمل الوقائع يمكنُ أن يكونَ هذا الكلامُ صحيحاً، من أنَّ الطوسيّ خَرجَ من بغداد منذُ بداية فتنة البساسيري، فتنةُ البساسيري بدأت طلائعها الأولى سنة (٤٤٦) للهجرة.

في صفحة (٣١٧)، من الكتاب الَّذي بينَ يدي في أحداث سنة (٤٤٦)، هكذا وَرد:

في شهرِ رمضان من هذه السَّنة - من سنة ٤٤٦ للهجرة - **ابتدأت الوحشةُ بينَ الخليفة العبّاسي والبساسيري** - البساسيري شَخصيَّةٌ سياسيَّةٌ وعَسكريَّةٌ في بغداد، كانَ مما وكاً تُركياً من الأتراك لكنَّهُ كانَ ذكياً ونابهاً فصارَ ما صارَ لهُ من الشأن السياسي والعسكري في بغداد - **وسببُ ذلكَ** - لا أريدُ أن أقرأ كُلَّ شيء - **وسببُ ذلكَ أنَّ أبا الغنائمِ وأبا سعد** - إلى آخر الكلام، هُناكَ من التفاصيل السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة الَّتي تُحرِّكُ الأحداثَ والوقائع، أنا لا أريدُ أن أقرأ التأريخَ كُلَّه، إنَّما آأخذُ لقطاتٍ ترتبطُ بحديثي الَّذي أحدِّثكُم عنه كي أرسمَ لَكُم لوحةً عن الواقع الَّذي تَحركَ فيه الطوسي ونشأ فيه هذا المَذْهَب الطوسيّ الضالّ القَذر.

فتنةُ البساسيري تَحرَّكت مُنذُ سنة (٤٤٦) ما هي فتنةُ البساسيري؟

البساسيري تركيٌّ هل كانَ شيعياً؟ لم يَكُن مُتديناً أساساً، بحسبِ ما هو معروفٌ عن البساسيري كان سُنياً لكنَّهُ يميلُ إلى التشيّع عندهُ علاقاتٌ معَ الشيعة، ولذا بعدَ ما حصلَ الخلافُ فيما بينهُ وبينَ الخليفة العبّاسي تَوجَّهَ إلى الشيعة، وعبرَ الشيعة تواصلَ مع الدولة الفَاطميّة في مصر، وكانَ العَداءُ مُتأجِّجاً بينَ فاطميّي مصر وعبّاسيّي بغداد وهذه قضيَّةٌ معروفةٌ في التأريخ، فتوجَّهَ البساسيري، يقولونَ: "البساسيري"، وفي بعض الكُتُب؛ "البصاصيري"، وفي بعض الكُتُب؛ "الفساسيري"، شخصٌ واحد، هو هذا أرسلان التركي، كانَ يملكهُ رجلٌ فارسيٌ يُقالُ لهُ البساسيري نسبةً إلى مدينة بسا في إيران، والَّتي قد تُلفَظُ بحسبِ إبدال الحروف تلفظُ فسا، ويُقالُ لهُ: (الفصاصيري)، هو نفسهُ هذا أرسلان التركي، استطاع البساسيري أن يُسيطرَ على العراق والَّذي قَضى عليه السلاجقةُ..

في أحداث سنة (٤٥٠):

وخطبَ البساسيري بجامع المنصور - جامعُ المنصور في بغداد، البساسيري تعاونَ معهُ كثيرٌ من الشيعة واستطاعَ السيطرة على بغداد وسيطرَ أيضاً على جنوب العراق وسيطرَ على الكوفة - **للمُستنصر باللّه العَلَوي صاحبِ مصر** - هذا إعلانٌ من قبل البساسيري من أنَّ بغدادَ صارت تابعةً للخلافة الفَاطميّة في مصر، العبّاسيّونَ هربوا من بغداد، ضيّعوا وجُوهَهُم عن البساسيري - **وأمرَ فَأَذَّنَ بحيَّ على خَيرِ العمل** - أعادَ الأذانَ الشيعي، لأنَّ الفَاطميّينَ في مصر يُؤذِّنونَ رَسمياً بحيَّ على خَير العَمَل في جامع الزَّهراء، جامعُ الزَّهراء هو الَّذي بَدَّلوا اسمهُ وسمّوه بالجامع الأزهر، اسمهُ الأوَّل جامعُ الزَّهراء...

في السَّنة نفسها قُتل البساسيري، لماذا؟ لأنَّ الفَاطميينَ لم يَتعاونوا معه، تواصلوا معه ولكن بشكلٍ ضعيف، لم يَثقوا بالرجل، هُناكَ مَن أشارَ عَليهِم أنْ لا يثقوا به، فَهُو من رِجال الدولة العبّاسيّة وإنَّما تَوجَّهَ للفَاطميّين وخَطَبَ لَهُم في بغداد بسببِ عَدائه لأمورٍ شَخصيّة ولمصالح محدودة، فيما بينهُ وبينَ العباسيين ومعَ الخليفة العبّاسي، قُتلَ البساسيري، موضُوعُنا ليسَ البساسيري، الَّذي يبدو كما قُلتُ لكم من خلال القرائن وما ذهبَ إليه بعضُ الباحثين من أنَّ الطوسي أخفى نَفسَهُ حينما اشتدَّت حركةُ البساسيري لأنَّهُ صارَ مُحرجاً، البساسيري يدعو لنُصرة الشيعة، البساسيري يدعو للارتباط بالدولة الفَاطميّة وهي شيعيّةٌ كما يقولون لا علاقةَ لها بدين العترة الطاهرة، لكنَّ النَّاس يقولونَ عنها من أنَّها شيعيّةٌ، البساسيري أعطى الشيعةَ حُريَّتَهم في مَساجدهم وفي مَشاهدهم، البساسيري نَصرهُ الكثيرُ من الشيعة، الطوسي عبّاسيٌ وولاؤهُ للعبّاسيّين وهو بِصدد تأسيس مَذْهَبٍ يكونُ بحسبِ ذوق العبّاسيّين لأنَّ الأمورَ تَستبينُ من خَواتيمها.

قد يقولُ قائلٌ: ومن أينَ عَلمتَ من أنَّ الطوسيّ يُريدُ أن يؤسِّسَ مَذْهَباً؟! خواتيم الأمور هي الَّتي تكشفُ عن البدايات، أمورٌ سريَّةٌ كهذه تتوقَّعونَ أن تُكتَب في كُتُب التأريخ؟! أيُّ كلامٍ هذا؟! وأيُّ هُراءٍ هذا؟!